

مركز النخبة للبحوث والدراسات الاستراتيجية برعاية مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية بالجزائر

اللغة العربية في المدرسة الجزائرية - الواقع والاستشراف -

الأستاذ: موسى حبيب

الرتبة: محاضر (أ)

جامعة: مصطفى اسطنبولي - معسكر -

رقم الهاتف: 213666666983

البريد الإلكتروني: moussahabbib333@yahoo.fr

الملخص بالعربية:

يتناول هذا البحث واقع اللغة العربية في المدرسة الجزائرية، مركزا على أسباب ضعف العربية في مجال التعليم، ميرزا المشاكل والصعوبات والعوائق التي يجدها متعلمو العربية في مختلف المراحل العمرية. إن ضعف استعمال اللغة العربية أصبح واقعا مجسدا في مدارسنا نظرا لعدة أسباب وعوامل داخلية وخارجية، قد تكون نابعة من المدرسة أو البيت أو الشارع. كما تكون نابعة من مستويات تعليمية مختلفة. وفي ظل هذا التطور الحضاري والازدهار الثقافي، في مجالات عديدة وميادين مختلفة لأصبح من الواجب السهر على الارتقاء بحال اللغة العربية لمواكبة العصر ومسايرة الركب التكنولوجي.

الكلمات المفتاحية: اللغة العربية، التعليم، المدرسة الجزائرية، واقع، حلول.

الملخص بالإنجليزية:

This research deals with the reality of the Arabic language in the Algerian school, focusing on the reasons for the weakness of Arabic in the Field of education, high lighting the problems, difficulties and obstacles That Arab learners find at different ages.

The poor use of the Arabic language has become an embodied reality in our schools due to several reasons, internal and external factors, which may stem from the school, home or street. It also comes from different educational levels. In light of this civilizational development and cultural prosperity, in many fields and different fields, it became necessary to ensure the improvement of the state of the Arabic language to keep pace with the times and keep pace with the technological process

Key words: Arabic language, education, Algerian school, reality, solutions.

1-مقدمة:

إن اللغة العربية هي مقوم من مقوماتنا، ورمز لسيادتنا، وهي مرآة للمجتمع العربي؛ تبرز قيمته، وتعكس صورته الثقافية والاجتماعية، واختلال اللغة يعني اختلال ثقافة المجتمع. وعلى هذا الأساس صار لزاما علينا أن ننظر في واقع اللغة العربية في المدرسة الجزائرية؛ بأن نشخص الداء الذي يعصف بها في كل وقت وحين، ونقضي على مظاهره وأسبابه، وحتى نستشرف لها بمستقبل زاهر وغد مشرق. لا بد من تقديم مقترحات علمية وحلول منهجية كي نهض بمستواها بين أوساط المعلمين والمتعلمين على حد سواء، وما أعظم أن ننشئ جيلا متمكنا؛ يفهم ويناقش ويتكلم بهذه اللغة على أحسن وجه وأفضل صورة.

أ-أسئلة البحث: ما واقع اللغة العربية في المدرسة الجزائرية؟ ما هي أبرز القواعد والآليات لتطوير تعليمها وتعلمها؟ ما هي أبرز الحلول المقدمة لنجاح هذه العملية التعليمية؟

ب-أهداف البحث:

يسعى البحث إلى إبراز مكانة اللغة العربية وأهميتها في التعليم، ودورها في نشر ثقافة المجتمع بوصفها الأساس الذي تقوم عليه أي حضارة، ثم التطرق إلى أهم المشاكل والصعوبات التي تعترض طريقها في مجال التعليم، وقد ركزت على المدرسة؛ لأنها أبرز المحطات الأولى التي إما أن يستقيم المتعلم فيها أو لا يستقيم. وعليه، فمستقبل العربية مرهون - إلى حد كبير- بإصلاح اللبنة الأساسية التي تقوم عليها العملية التعليمية، وهي (المعلم، المتعلم، المحتوى، المنهج).

ويهدف البحث إلى إبراز الاتجاهات اللسانية ودورها في تعليم اللغة العربية؛ إذ لا مناص أن ننهل من درس اللساني الحديث أنجع طرقه، وأفضل أدواته وآلياته، حتى نصل باللغة إلى بر الأمان، ونستطيع بفضلها أن نواكب عصر الحضارة والتقدم.

ج-منهج البحث: يركز المنهج على الوصف والتحليل، أي تشخيص أسباب ضعف اللغة العربية، وتحليلها، ثم تقديم أفضل الطرق، وأنجح السبل لإصلاحها، وتقويم طريقها حتى ندخل مصاف الدول المتقدمة، ونستشرف لها بمستقبل زاهر وغد مشرق.

2- فضل العربية وأهميتها في التعليم: تحتل العربية حيزا لا يستهان به في مجال التعليم، بل إن

التعليم في أساسه يقوم على هذه اللغة، إذ لا يمكن أن نتصور جيلا بدون لغة، أو لغة بدون جيل، والنشء هو حامل هذا المشعل ورائد هذه الفكرة:

يَا نَشْئُ أَنْتَ رَجَاءُنَا وبِكَ الصَّبَاحُ قَدْ اقْتَرَبَ

خُذْ لِلْحَيَاةِ سِلَاحَهَا وَخُذْ الخُطُوبَ وَلَا تَهَبْ¹

إن أول سلاح يمكن أن يتحصن به هذا الجيل المتعلم هو سلاح اللغة، فبها يفرض وجوده، ويحقق أهدافه وغاياته، ولا غرو أن تكون دولتنا العربية من ضمن الدول العظمى المتقدمة، التي حققت نجاحات في كثير من الأصعدة والمجالات، وإذا أردنا أن نكون كذلك فلا بد أن ننظر في واقع اللغة العربية وحالتها بين أوساط المعلمين والمتعلمين؛ لأن الأمم التي اهتمت بلغتها استطاعت أن تنتشر علومها وثقافتها على أوسع نطاق، ولننظر اليوم حين نرى الإنجليزية في الإشارات والكتب والمجلات وفي مختلف العلوم والثقافات، وهي تفرز هذه الثقافة في زمن التكنولوجيا وعصر التحديات. أليس ذلك يرجع إلى تقدير أبنائها لها؟.

لا سبيل إلى النهضة والتطور ما لم نعط لهذه اللغة حقها، ونحفظ قدرها، ونعلي شأنها، فاهتمام الأمم بلغتها دليل على حرصها على صيانة لغتها وهويتها وثقافتها، واللغة العربية مقوم من مقومات الحضارة العربية الإسلامية، وذخيرة لحفظ تراث الأمة وثقافتها، وسبيل لنقل هذا التراث بجميع أنواعه للأجيال الصاعدة لربط صلتها بحضارتها وتراثها وثقافتها وقيمها، فاللغة ليت مجرد وعاء للقواعد ووسيلة للتواصل؛ بل هي رمز الهوية والانتماء وأداة لتنمية الفكر ونقله إلى الآخرين، وهي بالنسبة إلى الأمة حافظة لكيانها... واللغة العربية لغة رسمية لدول الوطن العربي؛ إذ هي اللغة القومية التي تجمع أبناء الشعوب العربية، فضلا عن كونها لغة الاتصال والتفاهم فيما بينهم.² لذا وجب علينا أن نعلي شأنها ونرفع قدرها.

3- اللغة العربية في المدرسة الجزائرية:

لا نعدو الحقيقة إن قلنا أن حال العربية في المدرسة الجزائرية لا يشرف، وهو يبعث على الحزن؛ بل إن ضعف استعمال اللغة العربية أصبح واقعا مجسدا في مدارسنا نظرا لعدة أسباب وعوامل داخلية وخارجية،

¹ - عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، 1983م، ص269.

² - حسيني فاطمة، مقارنة منهجية لتطوير استراتيجيات تعليم اللغة العربية وتعلمها-المدرسة المغربية أنموذجا-الملقى المغاربي (اللغة العربية في المدرسة المغربية الواقع والاستشراف)، 08-09 ماي 2018، الإصدار السادس، ص58.

رغم أننا لا ننكر بأن تعليم العربية في المدرسة الجزائرية قد أشواطاً لا يستهان بها، وهذا بفضل الجهود التي بذلت في إطار عملية الإصلاح التي عرفتھا المنظومة التربوية حديثاً، ولكن مع ذلك تبقى الثغرات قائمة والنقائص موجودة" ولعل ما يثبت هذا الحكم هي الصعوبة التي يجدها الكثير من المتعلمين في التخاطب باللغة العربية واستعمالها في التعبير عن حاجاتهم، بل وفي إنتاج كتابي ذي تراكيب سليمة وألفاظ صحيحة الاستعمال. وكل ما يعود - في رأينا- إلى سوء التكوين القاعدي الذي أخذ هؤلاء المعلمون والذي يوصف بالارتجالية وانعدام التقنين. لقد أضحي لزاماً على معلمي اللغة العربية أن يرتقوا بتعليمهم إلى ما هو أحسن، وذلك بالتتور بأنجع التقنيات، وأنجح الطرق، وما توصلت إليه اللسانيات خاصة الحديثة منها، من مبادئ في ميدان تعليم اللغات على أن لا يشتغل بها كما يفعل اللساني، وإنما يوظف منها ما يراه ملائماً، ومطابقاً للوضع البيداغوجي الذي يواجهه، وهو يؤدي رسالته التربوية.

4-أسباب ضعف تعليم اللغة العربية في المدرسة الجزائرية:

إذا كان المثل يقول: "إذا أردنا أن نقضي على الداء فلا بد أن نقضي على أسبابه"، فهذا يقودنا حتماً إلى تشخيص أسباب ضعف تعليم اللغة العربية في المدرسة الجزائرية عموماً، ثم وضع السبل العلمية الناجحة في مقاومة هذا الداء الذي يعصف بها في كل وقت وحين.

إن ضعف استعمال اللغة العربية أصبح واقعا مجسدا في مدارسنا نظرا لعدة أسباب وعوامل داخلية وخارجية، قد تكون نابعة من المدرسة أو البيت أو الشارع. كما تكون نابعة من مستويات تعليمية مختلفة.

وفي ظل هذا التطور الحضاري والازدهار الثقافي، في مجالات عديدة وميادين مختلفة لأصبح من الواجب السهر على الارتقاء بحال اللغة العربية لمسايرة الركب التكنولوجي، وذلك بأن ننحو بها نحو سبل منهجية علمية واضحة تساعد على مزاحمة هذا التطور.

إن هذا الضعف اللغوي نشاهده في مدارسنا ومؤسساتنا، وهو يتفاقم يوماً بعد يوم، ويتجلى ذلك بوضوح فيما نلاحظه من عجز فاضح مستمر في استعمال اللغة العربية إن على المستوى الشفهي أو الكتابي. وإذا كانت الحكمة تقول "إنما جعل اللسان على القلب دليلاً" فإنه من باب الأهمية أن نحرص كل الحرص على الاستعمال الجيد والتوظيف الحسن لهذه اللغة، فالتوظيف الخاطيء لألفاظ العربية مثلاً يؤدي إلى اللبس الدلالي أو الخطأ المعنوي الذي يحول في كثير من الأحوال دون التواصل، إذ "إن عدم التمكن من التواصل

أو التعبير بالعربية وبشكل سليم يعد ضعفاً، وارتكاب أخطاء نحوية أو شفوية أو كتابية يعد ضعفاً، والسقوط في أخطاء إملائية يعد ضعفاً.⁽¹⁾

تعددت أسباب ظاهرة ضعف الطلاب في اللغة العربية فهناك من يرى أنها نتيجة انتشار العامية، وهناك من يرجعها إلى ثنائية اللغة بين المدرسة والبيت والشارع، ومن الباحثين من يرى أن ضعف الطلاب في اللغة العربية إنما هو بسبب سوء تصميم المناهج المدرسية، كما أن الكتب المدرسية ينقصها عنصر التشويق، والارتباط بواقع الطلاب وحياتهم ومتطلباتهم، وهناك من يقول إنها تعود إلى المعلم وتأهيله وطريقة تدريسه ومنهم من يرجعها إلى الطالب وعدم جديته، ورغبته في إدراك المهارات الأساسية في اللغة العربية وهناك من يحمل الإعلام ومدارسه المختلفة مسؤولية هذه الظاهرة الخطيرة.⁽²⁾

إن الشيء الذي يحزّ في النفس، ويؤثر في الأعماق ما نجده من تدني واضح لمستوى اللغة العربية داخل المؤسسات التعليمية من حيث عدم استعمالها بالشكل المطلوب والكافي، وفي عدم توظيفها كلغة للتواصل داخل حجرات الدرس سواء في مادة اللغة العربية أو المواد المدرّسة بها، حيث يلجأ المتعلمون في كثير من الأحوال إلى المزوجة بينها وبين اللغات العامية المصبوغة بكلمات أجنبية (اللكنة اللغوية)، وكثيراً ما تميل الكفة إلى استعمال هذه الأخيرة على حساب لغة الضاد، الشيء الذي تغيب معه فرص تمكن المتعلمين من استعمالها، ومن ثم اكتساب آلياتها، والنتيجة أنه صار من الصعب على المتعلمين التعبير عما يجول في خاطرهم من أفكار تحدثاً وكتابة. ولو بحثنا الأسباب لوجدنا كل الأطراف التعليمية (المعلم، المتعلم، المادة، المنهج) معنيّة بالتقصير؛ لذلك وجب إعادة النظر في هذه المقومات مع الأخذ بعين الاعتبار الكم والكيف والمستوى العقلي للمتعلم، فالكم الهائل لا يعود بالفائدة على المتعلم.

وقد اطلع د. عبد الرحمن الحاج صالح رفقة اللسانيين على الحصيلة من المفردات التي تقدم للطفل في المدارس الابتدائية في وقتنا الراهن في ذلك يقول: "تقدم للطفل غالباً كمية كبيرة جداً من العناصر اللغوية لا يمكن بحال من الأحوال أن يأتي على جميعها، ولذلك تصيبه ما نسميه بالتخمة اللغوية، وقد يكون ذلك سبباً في توقف آليات الاستيعاب الذهني والامتثالي."⁽³⁾

1 - حاج عبد القادر فاطمة، مقال موسوم "تجليات ضعف اللغة العربية في المدرسة، مجلة المصطلح، جامعة تلمسان، العدد 12، 2016م، 108.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، دط 2007م، ص 205.

وهذا أمر لا يختلف في صحته اثنان، لأن الشيء إذا زاد عن الحد انقلب إلى الضد، والمطلوب من التعليم ليس هو الكم الذي ينهله المتعلم من هذه المفردات اللغوية، وإنما الكيفية الميسرة والمذلة التي يستوعب بها ولو شيئاً قليلاً من هذه المفردات.

ويؤكد عبد الرحمن الحاج صالح هذه الفكرة قائلاً: "وهذا التنوع في المفردات قد يلاحظ في النص الواحد مع وجود صعوبات أخرى تخص غرابة التراكيب بل غرابة المفاهيم."⁽¹⁾ وهذا الأمر هو الذي لا يتناسب والمستوى العقلي للمتعلم، الذي لا يجني من هذا الحشو اللفظي إلا التعب، والعبرة كما قلنا ليست بالكمية، إنما هي بالكيفية.

إن المعلم هو المحور الأساسي في العملية التعليمية التعلمية، وهو محرك الدرس، ومفعّل اللغة، وقد تفضي طريقته الميسرة والمذلة في التعليم إلى تجنب العوائق والصعوبات التي قد يتخبط فيها المتعلم، كما يمكنه أن يوقر لهذا المتعلم طرقاً ميسرة لاستيعاب ما تحمله اللغة من أفكار وما تحتزنه من فوائد وقيم، ولكن ذلك قد يكون أكثر سهولة بانتهاج الطريقة التفاعلية الحديثة المبنية على الحوار والمناقشة. واستعمال الوسائل التعليمية الحديثة - بلا شك- قد يجنب الكثير من هذه المشقة.

ومن أسباب ضعف اللغة العربية هو تعلم اللغة الأجنبية قبل تعلم العربية، أو النطق بها لغير سبب، وهذا ما يؤدي إلى انسلاخ المجتمع العربي من لغته، أو بقاءه بغير لغة- إذا اعتبرنا أن ازدواجية اللغة هي ليست من اللغة- فلا يمكن أن نتصور جيلاً بلا لغة، أو لغة بلا جيل، واللغة العربية هي صورة للمجتمع العربي بحيث أن قوتها وضعفها في أهلها، ولا يمكن البتة أن ينهض قوم بلغة غيرهم، لذلك وجب علينا أن نحافظ على لغتنا العربية لأنها رمز لهويتنا، وقد لخص محمد بن إبراهيم الفوزان الآثار السلبية التي نجنيها عند التعلم بلغة أجنبية نذكرها كالاتي:

1- إعاقة نمو ملكة الإبداع.

2- التبعية الفكرية وذوبان الذات الحضارية.

3- صعوبة نشر الثقافة العلمية وفهم الأحاسيس.

4- جمود اللغة العربية.

1 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص205.

5- تدهور مستوى التعليم الجامعي. (1)

وهذه أزمات حقيقية تعاني منها أغلب أقطار الوطن العربي، فينبغي أن ننظر فيها، ونبحث عن حلول لها.

5- تعليم اللغة العربية (سبل منهجية ، حلول ومقترحات علمية)

إن ما يؤرّق الباحث العربي عموماً والباحث الجزائري خصوصاً على مستوى اللغة هو كيفية الوصول إلى طرق ناجعة وسبل ناجحة لأجل الارتقاء بمستواها في شتى الميادين والتخصصات، والحفاظ على سلامتها من كل أشكال الضعف والعجز والقصور، واللحن... ونحو ذلك من الإشكالات التي نعدها بحق أزمة عصرية عويصة تحول دون التقدم والتطور ومسايرة روح العصر.

لقد حرص عبد الرحمن الحاج صالح- رئيس المجمع الجزائري للغة العربية- على سلامة اللغة العربية ودعا المجمعين على ضرورة التفتح على اللغات واستعمال المصطلحات الأجنبية كلما تشد إليها الضرورة العلمية ودعا إلى إعادة النظر في تدوين المسموع بتكليف الحرف العربي ليلبّي المتداول في المحيط، وفي مسايرة العصر بتوظيف آلياته والاستفادة منها في تطوير اللغة العربية. (2)

وهذا يعني أنه لا بد من وضع العربية نصب الأعين؛ بأن نكيّف المسموع مع الواقع شريطة ألا نخل بقواعد اللغة العربية، لأن اللغة عموماً هي ممارسة كلامية بقواعد علمية مضبوطة، لا يمكن البتة أن نخل بها.

إن البحث في سبل تطوير اللغة العربية يعد من أجلّ اهتمامات العلماء والباحثين، وقد أكد بعضهم على ضرورة الاعتماد على البحوث العلمية الميدانية ذات النطاق الواسع التي من شأنها أن ترقى بمستوى اللغة العربية إلى مدارج عالية، وذلك بالابتعاد عن اللغة الوعظية الممثلة في (قل/ لا تقل) والتي لم تعد تنفع ما لم تُعزّز وتؤازر بعمل جاد يقود إلى تغيير الوضع التعليمي تغييراً جذرياً، وإن ذلك لا يتأتى ولا يكون إلاّ إذا بني على أسس علمية؛ أي على ما توصل إليه، وما سوف يتوصل إليه البحث العلمي اللغوي، وغيره كالبحوث التربوية والنفسية اللغوية، وهذا يقتضي أيضاً استغلال الحصيلة العلمية التي يحققها العلماء في

1 - محمد بن ابراهيم الفوزان، اللغة العربية والعولمة نقلاً عن غنيم كارم، اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1989م، ص 69-76.

2 - عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، مرجع سابق، ص 156.

كل الميادين. والقيام ببحوث ميدانية ومخبرية دقيقة على أسسها ومنوالها حتى ينكشف أولاً الوضع الحقيقي للغة العربية في جميع المستويات وفي جميع البلدان العربية، ونحصل بذلك على المعطيات الموضوعية التي تشوبها الأحكام الذاتية." (1)

ولكن تطوير تدريس اللغة العربية مرهون بالنظر اللصيق إلى مشكلات تطوير اللغة العربية بشكل عام، ومرهون أيضاً بالنظر في كيفية استعمال الناس لهذه اللغة في مستوياتها الرسمية والشعبية، فضلاً عن كون هذا التطوير مرتبطاً بالمادة اللغوية التي تلقن لأطفالنا في المدارس من جهة، والمادة اللغوية التي يلتقطها المواطن عبر وسائل إعلامية سمعية وبصرية، من جهة أخرى، وهذا التكامل المترابط يفرض من باب أن اللغة هي الأداة التي يعتمد عليها التبليغ بالدرجة الأولى، والأداة التي يتم بها تحليل الواقع. (2)

هناك مستويين من التعبير ينبغي مراعاتهما لأجل تطوير تدريس اللغة العربية: المستوى الراقى؛ وهو الذي يستجيب لما يسمى بمقام الانقباض، فيه يتفنن ويتحفظ المتكلم دون اختزال للألفاظ مع عنايته الفائقة في تصحيح الأصوات، ومستوى آخر يستجاب فيه بمقام الأنس: "وهو التعبير الذي يسترسل فيه صاحبه، لأنه يخطب شخصاً مأنوساً... وفيه يكثر الإدغام والاختلاس لحركات الحذف للكلمات... وما كان العرب قديماً يخاطبون بعضهم بعضاً في أنسهم إلا بهذا المستوى، إلا أن ذلك مجهول الآن من أكثر الأساتذة والمعلمين." (3)

وعلى هذا الأساس صار من الأهمية بمكان تنبيه المتعلم إلى هذين الوجهين من اللغة، وما يقتضيه مقام كل واحد منهما. ولا بد أيضاً من التفرقة بين الفصح والعامي، حتى أن بعض الألفاظ التي نستعملها اليوم في عاميتنا هي ألفاظ فصيحة من مثل لفظة (تيمم) التي يستعملها العامي وهو يريد (تيمم)، التي معناها (قصد)، وربما يخطئ البعض حين يحسبهما (تيمم/ تيمم) من العامية، وهما لفظتان فصيحتان. وفي القرآن: "وَلَا تَيْمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ" البقرة -267-، أي تقصدوا. وعلى غرار ذلك ألفاظ كثيرة من الفصحى نحسبها من العامية، وإن تنبيهنا لمثل هذه الأشياء قد نحقق نجاحاً كبيراً على مستوى لغة التخاطب؛ إذ نقرب منها لتصير شيئاً فشيئاً فصيحة بنسبة 90% مردفاً: "فإذا نحن أردنا أن يقبل الناس على دراسة العربية، فلا بد من تشويقهم بتبنيهم على وجود مستوى من التعبير الفصحى، لا يقل خفة وعفوية عن العامية

1 - عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، مرجع سابق، ج1، ص156.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 - المرجع نفسه، ص164.

أو اللغات الحية الأخرى التي يوجد فيها أيضا هذا النوع من التعبير الاقتصادي، ولهذا فلا بد أيضا أن نحمل مؤلفي التمثيلات والأشرطة السينمائية على استعمال هذا المستوى كلما كان المقام مقام أنس واسترسال.⁽¹⁾

وينبغي أن ننبه أيضا إلى أن دراسة القواعد لنفسها، ودراسة الأدب لذاته منهجان ألحقا تدهورا كبيرا بمستوى تدريس العربية أمام متعلميها، وهو الشيء الذي التقت إليه ابن خلدون بفكره الثاقب - كما يرى الحاج صالح: "فالملكة عنده هي الصفة الراسخة أو المهارة المكتسبة في استعمال اللغة، فهي قدرة يكتسبها الإنسان يُحكّم بها أفعاله الكلامية، وهي غير علم النحو، فمعرفة المتكلم للغة التي ينطق بها هي معرفة علمية غير نظرية، أما علم النحو كعلم قائم بذاته فهو نتيجة لإعمال الفكر في بنية اللغة وأوضاعه."⁽²⁾

ولم يكن عبد القاهر الجرجاني بمنأى عن هذه الفكرة، فقد رأى - هو الآخر - أن جوهر النظم بالنسبة لعلم النحو هو الاعتبار بمعرفة مدلول العبارات لا بمعرفة العبارات. وقد أقر بهذا الرأي قائلا: "وإذا كان الأمر كذلك، فلا بد من إيجاد الوسائل التعليمية المناسبة لإكساب المتعلم الملكة هذه المهارة، أما إكسابه معرفة نظرية، فهذا يأتي بعد مرحلة اكتساب الملكة الأساسية، ومهما كان، فهو فرض كفاية، لا فرض عين، إذ ليس المقصود من تدريس اللغة أن يتخرج كل الطلاب في الجامعة علماء في اللغة."⁽³⁾ خصوصا وأن علوم اللغة شتى ومتنوعة.

لم يفت الحاج صالح أن يتصدى لأزمات المشاكل التي تتعرض لها اللسانيات التربوية متسائلا:

- ماذا يجب أن نتعلم من اللغة؟ وكيف يجب أن نعلمه؟

وقد أثار بهذا التساؤل ثلاثة جوانب أساسية هي:

1- النظر في محتوى اللغة التي يقدمها المدرس للمتعلم.

2- النظر في محتوى الطريقة أو الطرائق التي يتبناها المعلم لتبليغ محتوى اللغة المقدمة للمتعلم.

1 - عبد الرحمن حاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص164

2 - المرجع نفسه، ص166.

3 - نفسه، ص 168 - 169.

3-النظر في تأدية المدرس لهذه الطرائق بينه المتعلم، وكيفية تطبيقها على وجهها الأكمل أو الأقل...، حتى وإن كان الباحث لا يتناول هذا الجانب الثالث بدافع أن كيفية تطبيق المدارس لطريقة من الطرق يعود بالدرجة الأولى إلى مهارة وتجربة وحكمة المربي نفسه، ولا يعود فقط، إلى المقررات والمناهج المراقبة... (1) وخلال الجانبين الأولين نجد الباحث يدعو المربي إلى الانطلاق من الواقع المحسوس، لأنه لا يوفق هو أو غيره في كشف الحقيقة وماهيتها إلا بوسائل علمية يستثمرها استثمارا سليما، مضيفا إليها نتائج وثمار علم اللسان والتربية اللذين يوجهانه إلى الهدف المنشود، ألا وهو تعليم اللغة بإحكام وأحكام سديدة تقوم على الاستقراء الواسع، وعلى القوانين الموضوعية، لا على الملاحظات الجزئية أو الانطبعية الإعجابية.

وما يحصن مدرس اللغة العربية تحصيلنا أقرب إلى السلامة وساحل الأمان منه إلى المغامرة والمجازفة وفوضى المناهج، أن يلقح محاصيله الثقافية والتربوية بما جد من ميكانيزمات أو نظريات لسانية حديثة مفيدة لوظيفته ومتعلمه الذي يوجد حاضره ومستقبله بين يديه، وتحت رحمته، لأن ما ينبغي أن يفهمه مدرس منا فهما صحيحا أن مهنتنا تختلف اختلافا جوهريا عن أية مهنة سواها، لأننا نؤدي رسالة الأنبياء، ولا نتباين معها إلا بمعطيات الغيب، والقوة الخارجية(2)

6-اللسانيات الحديثة وأثرها في تعليم اللغة العربية:

إن رفع مستوى العربية في المدارس الجزائرية مرهون بالنظر اللصيق إلى الآليات والأدوات التي ينبغي أن تستثمر من الدراسات اللسانية الحديثة، وما أحوج المدرسة الجزائرية إلى هذه الاتجاهات الحديثة التي تركز أيما تركيز على العناصر الأساسية في العملية التعليمية وهي: (المعلم، المتعلم، المحتوى - المنهاج)، هذه البنى -دون شك- هي العمود الفقري الذي تقوم عليه العملية التعليمية.

ولكي ننهض بهذه الأطر ونطورها إلى أبعد مستوى لا بد أن نستثمر جوانب كثيرة مهمة من الدرس اللساني الحديث، وبخاصة اللسانيات البنيوية.

1 - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص 147-175.

2 - عبد الجليل مرتاض، مقال موسوم "التعليمية في اللسانيات الحصلية- مجلة المصطلح، العدد 1، 2015، ص 14.

6-1- اللسانيات السلوكية وأثرها في النهوض بالمتعلم:

ينظر علم اللسانيات الحديثة إلى اللغة على أنها سلوك، والتعلم -بجد ذاته- سلوك يفرض على المتعلم أن يملك القدرة على الاستجابة للمثير، ويستدل على ذلك بالتمارين التي يبني عليها تعليم اللغة القائمة على السؤال والجواب، وأهم مقصد ينشده من هذا الفعل التعليمي، هو الوصول بالمتعلم إلى الآلية (Automatisme)، أي إلى مرحلة يصبح فيها قادرا على إنتاج جمل على شاكلة الأنماط التي تعلمها وقياسا عليها. وهو الشيء الذي تلح عليه المناهج الحديثة في المدرسة الجزائرية، خاصة في المرحلة الأولى من التعليم الابتدائي حيث يستند المعلم إلى جمل نموذجية أو بالأحرى اختبارية في تقديم حصة التعبير الشفهي ويدعو تلاميذه إلى تقليدها والاستئناس بها في إنتاج جمل من إنشائهم. ونفس الفعل يتم في حصص القراءة، فهو ينطلق من كلمات يختارها فيتدرج معهم ليصل بهم إلى الإتيان بكلمات يستوحونها من قواميسهم اللغوية.¹

6-2- البنيوية وأثرها في تطوير المنهاج:

لا يمكن أن نغفل عن دور المنهاج في إنجاح العملية التعليمية، فهو قواعد صارمة ينبغي أن تحترم أثناء التطبيق، ولذلك تركز اللسانيات البنيوية على ما يسمى بالأنماط البنيوية؛ "وتعني عندهم تجنب تدريس اللغة العربية كقواعد نظرية تحفظ عن ظهر قلب، وإنما كأنماط تكتسب بالدربة والمران، لأن معرفة أخذ معلومات نظرية عن اللغة ليس هو المهم، وإنما المهم هو مراعاتها إبان الاستعمال. لهذا نراهم يميزون بين طريقتين في تعليم اللغة:

أ- القواعد الصريحة المباشرة (Grammaire explicite): وتتضمن عرضا مباشرا للقوانين التي تقوم عليها التراكيب والجمل.

ب- القواعد الضمنية (Grammaire implicite): التي تخلو من العرض المباشر لأي قوانين.

وفي كلتا الحالتين فلا بد القواعد الصريحة والقواعد الضمنية في نظرهم ضرورية في تعليم اللغة في جميع المراحل.²

1 - بلعباس عبد القادر، المرجعية اللسانية الحديثة وتعليم اللغة العربية، منشورات وحدة البحث تلمسان، 08-09 ماي 2018 الإصدار السادس، ص38.
2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6-3- اللسانيات الوظيفية ودورها في تعليم اللغة:

لا يمكن أن ننكر دور هذا الاتجاه في تعليم اللغة، إذ يرتبط بحاجات المتعلم ارتباطاً شديداً، وهو يقوي ملكته التبليغية (La Compétence communicationnelle)، أي القدرة على استعمال اللغة في مختلف الوضعيات الخطابية، وحسب مقتضيات الأغراض والأحوال، وهمهم الوحيد هو أن يتمكن متعلم اللغة من فهم المسموع وفهم المقروء وحسن المشافهة والتعبير كتابةً، ومن هذا المنطلق يعتبرون قواعد اللغة وسيلة وليست غاية، ويطالبون بإلغاء الإعراب التقليدي واعتماد الإعراب الوظيفي الذي يركز على ما يحتاجه المتعلم، ويختار المادة المناسبة من مجموع ما يقدمه النحو التعليمي، مع تكيفها تكيفاً محكماً طبقاً لأهداف التعليم وظروف العملية التعليمية التعلمية، وهذا التمييز المنهجي الذي يقولون به، يؤكد مفهوم إجرائي في التعليمية الحديث يطلق عليه؛ النقل التعليمي (Transposition didactique)، وهو نقل المعرفة العالمية (Savoir savon) إلى المعرفة المدرّسة (Savoir enseigné) إيماناً منهم أن الملكة اللغوية (Compétence linguistique) التي يريدون بها التركيب السليم، لا تعطي صاحبها في كل الأوقات إمكانية الاستجابة لجميع الحالات الخطابية. وهكذا ظهرت في أوروبا وأمريكا الكثير من المناهج في تعليم اللغات (Méthode directe)، والطرق المسماة بالسمعية البصرية (Audio- visuel) والطرق المسماة بالسمعية الشفاهية (Oral- Audio)، استفادت كلها من البحوث المتواصلة في الحق اللساني ونتائج ميادين علم النفس وعلوم التربية التي لها علاقة باكتساب اللغة وتعلمها.¹

6-4- البنيوية السمعية البصرية:

يعتمد أصحاب هذا الاتجاه أساساً على الفرضية السيكلولسانية القائلة: "إن الإنسان لا يدرك البنيات اللغوية مجزأة، وإنما يدركها بصفة كلية، يسمع مقاطع لغوية منذ نشأته الأولى فيقلدها ولا يقلد الفونيمات أو الأجزاء الصوتية الأحادية".² وبذلك قامت هذه الطريقة على دمج الصورة والصوت والحركة في المواقف التعليمية للغة؛ إذ يتم تعليم كل الجوانب اللغوية بشكل تصاعدي منسجم، وبطريقة كلية متظافرة إدراكياً وصوتياً وصرفياً ونحوياً ومعجمياً، على اعتبار أن النسق جزء لا يتجزأ.³ ومن المبادئ التي تقوم عليها

1 - بلعباس عبد القادر، المرجعية اللسانية الحديثة وتعليم اللغة العربية، ص39.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 - نفسه، ص39.

طريقة البنيوية السمعية البصرين: إعطاء الأولوية للمشاهدة والتركيز على النطق. فمن جانب المشاهدة أكد أصحاب هذه النظرية أن الاستعمال الطبيعي للغة يعتمد قبل كل شيء على المشاهدة، فمتعلم اللغة أول ما يبدأ متكلما، ثم بمرور الوقت ينتقل إلى التحرير فالكاتب، وتتجلى خطورة هذا الجانب في تعليم اللغة العربية في المدرسة الجزائرية كونه لا يجد التوجيه من طرف المعلمين رغم أن المشاهدة تأخذ حصة الأسد في الحيز الزمني الممنوح لنشاطاتها.

ومتلما ركز البنيويون على المشاهدة ركزوا على النطق، وأكدوا على ضرورة البدء به في تعليم اللغة، بل رأوا أنه لا يجب أن تقدم الكتابة عليه " لأن اللغة في أصلها منطوقة، وأن الكتابة ظهرت في زمن متأخر، وأن الإنسان ينطق اللغة أصواتا ثم حروفا، ثم أن بعض الظواهر اللغوية في الممارسة، لا تظهر إلا من خلال النطق كالإدغام والنبر والتنغيم والإشمام والإمالة..¹ وهي ظواهر صوتية تظهر من خلالها بعض كفاءة المتكلم.

خاتمة البحث: توصلنا من خلال البحث إلى جملة من النتائج نلخصها فيما يلي:

- إن ضعف اللغة العربية أصبح واقعا مجسدا في مدارسنا نظرا لأسباب: إما داخلية أو خارجية؛ فمنها ما يعود إلى المدرسة (المعلم، المتعلم، المحتوى، المنهاج)، ومنها يعود إلى البيت أو الشارع. أو ثنائية اللغة.

- إن تعليم العربية في المدرسة الجزائرية قطع أشواطاً لا يستهان بها، وهذا بفضل الجهود التي بذلت في إطار عملية الإصلاح التي عرفتها المنظومة التربوية حديثاً، ولكن مع ذلك تبقى الثغرات قائمة والنقائص موجودة.

- نجد تدني واضح لمستوى اللغة العربية داخل المؤسسات التعليمية من حيث عدم استعمالها بالشكل المطلوب والكافي، وفي عدم توظيفها كلغة للتواصل داخل حجرات الدرس سواء في مادة اللغة العربية أو المواد المدرّسة بها، حيث يلجأ المتعلمون في كثير من الأحوال إلى المزوجة بينها وبين اللغات العامية المصبوغة بكلمات أجنبية (اللكنة اللغوية).

1 - بلعباس عبد القادر، المرجعية اللسانية الحديثة وتعليم اللغة العربية، ص40.

- إن المعلم هو المحور الأساسي في العملية التعليمية التعلمية، وهو محرك الدرس، ومفعّل اللغة، وقد تفضي طريقته الميسرة والمذلّلة في التعليم إلى تجنّب العوائق والصعوبات التي قد يتخبّط فيها المتعلم، كما يمكنه أن يوفّر لهذا المتعلم طرقاً ميسرة لاستيعاب ما تحمله اللغة من أفكار وما تختزنه من فوائد وقيم.

- من أسباب ضعف اللغة العربية هو تعلم اللغة الأجنبية قبل تعلم العربية، أو النطق بها لغير سبب، وهذا ما يؤدي إلى انسلاخ المجتمع العربي من لغته.

- إن البحث في سبل تطوير اللغة العربية يعد من أجلّ اهتمامات العلماء والباحثين، وقد أكد بعضهم على ضرورة الاعتماد على البحوث العلمية الميدانية ذات النطاق الواسع التي من شأنها أن ترقى بمستوى اللغة العربية إلى مدارج عالية.

- ولكن تطوير تدريس اللغة العربية مرهون بالنظر اللصيق إلى مشكلات تطوير اللغة العربية بشكل عام، ومرهون أيضاً بالنظر في كيفية استعمال الناس لهذه اللغة في مستوياتها الرسمية والشعبية، فضلاً عن كون هذا التطوير مرتبطاً بالمادة اللغوية التي تلقن لأطفالنا في المدارس من جهة، والمادة اللغوية التي يلتقطها المواطن عبر وسائل إعلامية سمعية وبصرية، من جهة أخرى.

حلول ومقترحات للنهوض باللغة العربية:

من ضمن الحلول والمقترحات المهمة في نهضة اللغة العربية ما نجده في:

- إبراز مكانة اللغة العربية في نفوس الناشئة والطلاب في جميع مراحل التعليم العام.
- الاهتمام باللغة العربية، وإصدار قوانين تتعلق بالمحافظة عليها.
- الاهتمام بمستويات اللغة المعروفة (الصرفي، النحوي، التركيبي، الدلالي، البلاغي)، وعدم إقصاء أيّا منها.
- استثمار اللسانيات الحديثة باتجاهاتها المختلفة في تعليم اللغة العربية.
- تجنب تدريس اللغة الأجنبية في المرحلة الابتدائية.
- تشجيع الأكفاء والمبدعين والمجتهدين البارزين في حقل العربية الفصحى.
- الاهتمام بكفاءة المعلم قبل كفاءة المتعلم.
- التأكيد على ضرورة التسلح بالضمير المهني أثناء أداء المعلم لوظيفته.

- السهر على جلب الراحة النفسية للمتعلمين، وابتعاد المعلم قدر الإمكان عن الدور السلطوي في القسم.
- إعادة النظر في المنظومة التربوية، بإصلاح الفاسد، وإزاحة النقائص....
- التقليل من البرنامج، والاهتمام بالكيف لا بالكم، والحكمة تقوم: " من رام العلم جملة ذهب عنه جملة".
- وضع برامج وخطط ترتقي بتعليم اللغة العربية داخل المدرسة، وتهتم بسلامتها خارج المدرسة.
- توجيه الطلبة الممتازين للدراسة في قسم اللغة العربية.
- ضرورة التفريق بين التعليم باللغة الأجنبية وتعلم اللغة الأجنبية، لأن التعلم باللغة الأم واجب وضروري، والتعليم باللغة الأجنبية جناية في حق اللغة الأم، ومن الواجب تعريب العلوم في الجامعات العربية.
- وجوب توجيه البرامج في وسائل الإعلام بالفصحى الميسرة.
- وضع معجم عربي خاص بالمصطلحات التي تقابل المصطلحات الأجنبية الحديثة.

المصادر والمراجع:

1. بن باديس (عبد الحميد) مجالس التنكير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، 1983م.
2. حاج صالح(عبد الرحمن)، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، دط، 2007م.
3. حاج صالح(عبد الرحمن)، بحوث ودراسات في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، دط 2007م.
4. حسيني (فاطمة)، حسيني فاطمة، مقارنة منهجية لتطوير استراتيجيات تعليم اللغة العربية وتعلمها-المدرسة المغربية أنموذجاً-الملتقى المغربي (اللغة العربية في المدرسة المغربية الواقع والأستشراف)، تلمسان، الإصدار السادس، 2018م
5. عبد القادر (بلعباس)، المرجعية اللسانية الحديثة وتعليم اللغة العربية، منشورات وحدة البحث تلمسان، الإصدار السادس، 2018م.
6. فاطمة(حاج عبد القادر)، مقال موسوم " تجليات ضعف اللغة العربية في المدرسة، مجلة المصطلح، جامعة تلمسان، العدد 12، 2016م.
7. الفوزان (محمد بن إبراهيم)، اللغة العربية والعولمة نقلا عن غنيم كارم، اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1989م.
8. مرتاض(عبد الجليل)، مقال موسوم " التعليمية في اللسانيات الحصيلية- مجلة المصطلح، العدد 1 2015م.